أصفون في التاريخ الإسلامي

أ.د. جـــمـــال أحمـــد طـــه العـــــواري (*)

مقدمة :

توجهت الدراسات التاريخية في الآونة الأخيرة لا سيما في الغرب الإسلامي إلي دراسة القرى والأرياف والبوادي وعلاقتها بمحيطها من المدن والحواضر الكبرى([1]) وظهرت دراسات جد طيبة في هذا المجال معتمدة على التواريخ المحلية لهذه القرى والأرياف والبوادي إلي جانب كتب التراجم والفهارس والبرامج وكتب النوازل الفقهية، لكن ما زال الأمر في بداية توجهاته بالنسبة للمشرق الإسلامي، فنادرا هي الدراسات التي ألمحت إلي تاريخ القرى والأرياف والبوادي مقارنة بتلك الدراسات التي أنجزت على صعيد دراسة تاريخ المدن. ولعلنا نقدم العذر للباحثين بخصوص هذا الأمر في المشرق الإسلامي، حيث تندر المادة العلمية التاريخية للقري والأرياف والبوادي في بطون المصادر سواء التاريخية منها أو الجغرافية أو الفقهية أو كتب التراجم والرحلات وغيرها. وهذه فيما نعتقد واحدة من المعضلات الكبرى التي جعلت الباحثين يعزفون عن دراسة القري والأرياف والبوادي. لا سيما أن غالبية المادة التاريخية الحضارية التي وجدت للقري والأرياف والبوادي لا تشكل شأن ذو أهمية كبرى في المحيط التاريخي الحضاري الذي يربطها بالمدينة أو الحاضرة.

(*) أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المتفرغ ـ جامعة سوهاج ـ كلية الآداب ـ قسم التاريخ والحضارة

[1] ـــ انظر الدراسة التي أنجزها د. محمد حسن من جزءين عن المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي. جامعة تونس الأولى، كلية الإنسانية والاجتماعية، سلسلة تاريخ رقم ٤ المجلد XXX11 عام ١٩٩٩.

انظر أيضا المقال الذي نشره مجموعة من الباحثين المغاربة عن التراث المرتبط باستغلال الموارد المائية بمقدمة الريف الأوسط ، منشور في Reyue Espace Geogrphique et societe Marocaine رقم ٣٧ / ٣٨ لشهر أغسطس عام ٢٠٢٠ م.

- ومن ثم بدأت الأبحاث في المشرق الإسلامي تهتم لتأريخ القري ومن هذه الدراسات مؤخرا الدراسة التي قام بها د / وائل حسام خليل عن معصرة الزيتون في قرية صنفجة بالأردن، منشور بالمجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مجلد ١٩ العدد ١ لعام ٢٠٢٥ م. وكذلك المقال الذي كتبه د . عبد الله أحمد همام عن القضاء والحركة العلمية بقمولا في عصر المماليك البحرية ٦٤٨ ـ ٨٧٤ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٣٨٢ م نشر بمجلة المؤرخ العربي، ج٢ عدد ٢٧ لعام ٢٠١٩ .

أما عن قرية أصفون فهي الموضع الذي كانت به نشأتي، والمكان الذي إليه نسبتي، فبناء على ما يمتلكه الوطن وما يمتلكه مسقط الرأس من قدسية وحب داخل القلب، وشغف به وبماضيه وما كان عليه من حضارة وتقدم، وبما اسهم به الآباء من إسهاما مثمرا في كل ما يتصل بألوان المعرفة الإنسانية وضروبها، وبما قدموا من طرائق تشع منها الحياة، وتنبض بالنشاط والحركة، رابطة الحاضر بالماضي بعد القرون الخوالي، حيث عشت بها ولم أفارقها حتى إتمام مرحلة تعليمي الجامعي، ثم كنت بعد ذلك وما زلت مترددا عليها حتى الآن، فقلبي دوما إلى ربوعها يتشوق، حيث ما زالت لي كخل أهوى دنوه، ووصلها يشفي سقامي. فبها أهلي وأحبابي ومن أهواهم في السر والعلن، وهي الوطن، فسلام عليها في كل موطن، وحق لها مني ألف سلام، فو الله ما فارقتها عن قلى لها، وإني بشط جوانبها ما زلت أجنى ثمار خيراتها، واشتاق منها منازل لم أنسها، وإن قالت يكفيك مني أن تلقى خيالي نائما، أقول لها هيهات هيهات أين منامي.

بناء أيضا على مطالب ودعوة بعض أهل قريتي من المثقفين والمهتمين والهاويين لقراءة التاريخ لا سيما التاريخ المحلى، حبا في تراثهم وإذكاء للروح الوطنية في نفوسهم، وحنوهم على كنوز قريتهم، وشوقهم الجامح إلى معرفته وبعثه من طواميره، في أن أكتب شيئا عن قريتي في التاريخ والحضارة الإسلامية. أيمانا من الأعماق بتراثها المجيد، يكون من خلاله غنم وفير، تمجيدا للآباء، وحفزا للأبناء، يعود بالنفع والخير العظيم لأجيال قادمة، حيث أن التاريخ من العلوم التي يحتاج إليها الإنسان ليعرف به الخلف أحوال السلف، فأخبار الرجال وأحداث حياتهم في معنى من معانيها تاريخ لهم، وتراجمهم صورة لذلك التاريخ، تبعث ذكرهم، بعد أن طوتهم القرون وغيبتهم المنون، فالناس اعتادوا في كل زمان ومكان أن يهتموا ببلدانهم وبالبارزين من رجالهم، يتناقلون أخبارهم ويروون مأثرهم. فكانت دعوتهم دعوة وافقت إرادة ومطلبا. فجاءت أفكار هذا البحث، وازدادت الرغبة في ذلك لا سيما عندما توجهت بالقراءة عنها في بطون المصادر التاريخية والجغرافية وكتب التراجم والفقه والرحلات وغيرها، ووجدت بعض الأخطاء والمبالغات التاريخية من بعض الأخوة من أبناء قريتي وغيرهم من الهواة غير المتخصصين، والتي ذكروها عند إشاراتهم من قطوف لتاريخ القرية فيما قرأوه في بطون المصادر التي أطلعوا عليها، واقتبسوا منها، وكتبوا عنها على صفحات الأنترنت، فزادت عزيمتي في أن أكتب هذا البحث مستخدما فيه منهج البحث التاريخي التحليلي المعتمد على استقاء المادة العلمية من مصادرها الأصلية والقائم على عمليتي النقد الباطني

والظاهري، والذي تعلمناه منذ سنين طويلة، ودأبنا على تطبيقه في جميع أبحثنا، وكتبنا، وهو المنهج الذي نسير عليه طوال حياتنا، ونعلمه لتلاميذنا عند الرغبة منهم في القيام بالأبحاث والكتابة التاريخية لرسائل الماجستير والدكتوراه وما بعد ذلك من إعداد أبحاث للترقيات العلمية.

من خلال البحث والتنقيب في بطون المصادر المختلفة والتي أشارت في نتف قليلة لبعض القري والأرياف والبوادي المصرية، وجدنا أصفون بين القري تظل وحيدة عنصرا ومركزا، شاهدة على مصاير الأسفار الناجحة والفاجعة، وضعها الجغرافي يدل على أنها مثلت دور الوسيط بين إقليمين ممتدين في الصعيد الأعلى، كما أنها مست بعلاقتها العلمية الحاضرة، فجمعتها بدلا أن تفرق بينها، وهذه العلاقة وحدها أوجبت الحركة التي سمت بها إلي عالم النور والفكر، فشقت عباب ماءها ألوان شتى من الرحلات العلمية ذهابا وإيابا، كرسائل الغرام بعد الفراق، فكانت صفتها الأساسية تشبه بحيرة داخلية لها تاريخها وحضارتها الإنسانية، ولها أخلاق أبناءها القروية، ففي بحرها العلمي الصاخب كان خط الوصل بين الشعوب شرقا وغربا، وفي أعماقه وأجوائه المختلط بعضها ببعض، نقل أبناءها سلع العلم كما نقلوا أفكاره، لتسفر الملاحة في بحرها عن وجود علمي دولي لا يقاوم، وصلات وصداقات بين رجال بحور العلم جمعتهم أفكار وعقائد ومذاهب دينية مختلفة، ميزتهم بعبقرية تاريخية جامحة. فظلت قرونا كثيرة مركزا للحضارة العلمية التي حمل لواءها سابقا أبناءها من الفراعنة ثم اليونانيون ثم الرومانيون ثم العرب المسلمون، فكانوا لها أداة وصل بين حركة التمدن والتحضر التي شهدتها (قوص والقاهرة) وشهدها الشرق الإسلامي (مكة والمدينة وحلب ودمشق وصفد والكرك واليمن والموصل بالعراق أيضا). وغدو بها سبيلا للحضارة كما غدو بها مركزا للتاريخ الروحي لمصر في عصرها الإسلامي، فعنى أبناءها بالحركة الذهنية وتبادل العلم والأفكار، حيث اكتشف فيها أبناءها خلف أعمالهم.

رغم ذلك أصبحت مصايرها تعبث بسطحها، وتلهو بشواطئها عندما ذاع صيتها وصيت أبناءها، فود عذال أبناؤها السيطرة عليهم ليصبحوا ميدانا لصراع تاريخي بين الأمراء والوزراء والسلاطين، لتصبح أصفون وحدها هي الجامع لجميع العوامل التي تتمازج إيتاء لإطراء عذوبة تاريخها وأدبها، فدخلت في صراع تماس متقابل حسود عنيد. فغدت تتجاوز فيه كل العوائق والصعوبات لتربط نفسها بالعالم بعضه ببعض، محاولة أن تمتزج فيه بالأمة الغالبة ،متجاوزة هذا الدور الانتقالي تدريجيا ليسجل التاريخ فيه عهودا جديدة

لها بين ثلاث دول ــ الفاطميون ثم الأيوبيين ثم المماليك ــ، يفصل بينهم عالم الفكر والذهن والعقيدة، حيث اختلفت وسائلهم ومقاصدهم اختلافا تاما.

على أية حال ومهما يكن من أمور تخص قرية أصفون، فإنه يتعذر علينا أن نأتي ببيان كامل بتاريخها وتاريخ أبناءها وعلماءها وفقهائها وحضارتها، ووحدة ماءها وعمق أمواجها وتباين واختلاف شراع سفن رحالها خلال العصر الإسلامي. فما كدت ألقي قلمي عند الانتهاء من إعداد هذا البحث ومقدمته وملحقاته، إلا وتأكد لدي إن إلقاء القلم نهائيا في نطاق هذا البحث أمر غير ممكن، فربما إن كان في العمر بقية يتجدد الجهد في هذا المضمار مني أو من باحثين أخرين، وقد يكون هذا في وقت لاحق بمشيئة الله، حيث أن ثمة قضايا تاريخية هامة تخص قرية أصفون لم يحسم هذا البحث الجدل فيها، وهو ما يسوغ لهذه البحث أهميته، فهو محاولة يمكن اعتمادها مرجعا على أنها مجرد حقل تاريخي لمجال مفتوح، في تماس متقابل خصيب لقرية تبدو أنها كانت مسرحا تتجاوز فيه الحضارات التي تربط العالم بعضه ببعض بأوجه مختلفة، لكل مبحث فيه طابعه المميز المرتبط بطبيعة الإشكالية التي يحاول معالجتها. وذلك من خلال ما تفرضه طبيعة المبحث من مدي التماس والعلاقة والمجال والإشكالية المطروحة والمساءلة، فهي علاقة دائرية متماسكة الأطراف، قطب رحاها عنصر التماس " قرية أصفون " هذا العنصر المتكيف حسب المادة العلمية التاريخية بمختلف مكوناتها، والمتلونة في الوقت ذاته بألوان تختلف باختلاف أوجه الإشكالية التاريخية المتنوعة الاستنطاق والمقابلة، فهي تقف تارة عند الحدث فيه لتختبره بإمعان لكل ما يتصل به، وتعزف تارة أخرى عنه لتهتم برصد ظاهرة أو بنية تاريخية قائمة، مكثفة وسائلها البحثية قصد تضييق الخناق والبعد بقدر الإمكان عن المألوف التاريخي. الذي حاولنا أن نعمل على تجميع مادة علمية كلها أو جلها جديدة له، فقرأنا كثيرا وصبرنا قرابة أكثر من ثلث قرن من الزمان كنا مسورين خلاله باهتمامات بحثية وأخري وإدارية متعددة ننتظرها صباحا ومساءا وتنتظرنا أيضا، كما كنا نأمل أن نعيد القراءة من جديد حول تاريخ هذه القرية وحضارتها، فأعدنا البحث والقراءة من جديد، لعل وعسي نكون الآن قد وصلنا إلي مرحلة النضج الذي يسلحنا بسلاح الفهم والإدراك، الذي احتذي به عالمنا الجليل ابن قيم الجوزي.

نرجو من قراءنا الكرام ألا يفهموا أننا وضعنا أنفسنا في مقاربة مع هذا العالم الفقيه الجليل الذي قدم للفقه والتاريخ والأخلاق والطب والفلسفة الإسلامية ما قدم من أعمال. لكننا أردنا أن نتلمح فقط لما تلمح إليه عالمنا الجليل بأن العاقل لا يجوز له أن يخلو نفسه من الفكر مهما كبر، بل عليه أن يتصور كيف يناله. أو كما قال أرسطو: " أن الفعل بالقوة هو عقل ينمو مع تقدم السن، كسائر القوى الموجودة فينا، والعقل الذي فينا له القدرة على التجرد ". وهذا ما أكده فيلسوف الإسلام ابن رشد عندما رأي " أن التوازن في عقلية الإنسان يزيد مع الشيخوخة، وأن عقله إذا هم بمعرفة شئ من الأشياء، فإنما يعرفه معرفة صحيحة ".

من سالف القول نستطيع أن نقدم ما عملنا عليه خلال أكثر من ثلث قرن من الزمن بأسلوب علمي تاريخي وبمنهج متقاطع يهدف إلي صياغة تاريخية جديدة ، ذات خطوط رفيعة تم التقاطها وتسليط الضوء عليها بشكل يكاد يكون كاف. حيث أنها لم تكن نتيجة صراع سياسي كتبت أحداثه ونتائجه لحساب طرف علي حساب طرف آخر، بقدر من كونها حصيلة لظروف موضوعية دون أن تحتاج إلي برهنة ملموسة ممن كتبها أو ممن خطها، مما جعلنا أن ننجذب إليها ونتابعها ونندهش من متانتها التاريخية، حيث ما أن كنا نمسك بخيط من خيوطها إلا ويتدلى علينا في علائقها بعضها بالبعض الأخر خيوط أخري. ورغم هذا لم يمنعنا استكشافها وتحليلها وبرهنتها إلا أن نقرأها ونحللها ونبرهنها بعين تاريخية حذرة محايدة بقدر الإمكان.

كان القصد أن تفضي هذه المحاولة إلي ارتسام ملامح تاريخية غير مألوفة لقرية أصفون مستدعية للمنسي أو للغائب التاريخي واستجلاء المطموس منه، ومدعاة لتعرية الواقع المقنع، واستدعاء لأول طريق لمن ابتغي أن يدافع عن المبهم ويضع النقاط على الحروف، وإظهارا لنتائجه واستكشافا وتحليلا لعلائقه غير المبرزة في صيغ مبرهنة مفصلة، من أجل تسليط الضوء علي خطوط التواصل والاستمداد بين القرية والمدينة والحاضرة، ولتكون أيضا أكثر مصداقية للقراء لها من أول وهلة، حيث أنها محاولة بحثية معتمدة على مصنفات تاريخية معتمدة، العهدة فيها على المنقول من أفواه المؤرخين، مقدما اعتذاري عما لا يوافق أو يصيب غرض بعض القراء لاسيما من أبناء قريتي، فليعذر الواقف عليه، وليعلم أن الحاجة المذكورة ألجأت إليه، فليمهد لنا العذر

في التقصير، فأفكاري التي جاءت في البحث كليلة، وبضاعتي من العلم قليلة، وصوارفي متناحرة، وبواعثي متقاصرة، وشواغلي كثيرة، ووقتي ضيق عن اختيار الألفاظ وجودة الترتيب، كما أن كثير من المصادر التاريخية عن القرية مفقودة الأن، وهو ما يجعل لدي قناعة أن البحث عن تاريخ قريتي لم ينته بعد، وأن إلقاء القلم عنه نهائيا غير ممكن، فإن تجدد الجهد فيه قد يكون في وقت قريب غير بعيد. طالبا قراءي إعفائي من وصمة الغلط، وبوادر السقط. سائلا الله أن يوفقني لإخلاص النية وإحسان الطوية.

من نافلة القول يكتسي البحث في تاريخ القري أهمية كبرى علي عدة مستويات. من هذا المنظور ود مجموع هذه المباحث أن يستوحي عددا من القضايا التاريخية المتباينة والمتعددة الفترات، ليطمح كل واحد منها إلي المساهمة في رصد ومراقبة حركة التطور التاريخي في تاريخ العلاقات البشرية الرابطة بين القرية والمدينة والحاضرة ،والتي كان المجال الجغرافي والتاريخي لها قرية أصفون. ليلمس القراء من خلالها مدي اختلاف الأحكام التاريخية التي كانت سابقا بديهيات مألوفة وراسخة في أذهان أبناءها، وبين ما توصلت إليه مجموع هذه المباحث من إثبات مسلمات تاريخية جديدة نأمل من خلالها ألا تغيب مبدئيا عن أذهان المؤرخين المحدثين لا سيما المهتمين منهم بالتأريخ المحلى للقرى والبوادي والأرياف في العصر الإسلامي. لأننا لا نري ما يسوغ دراسة التاريخ إذ لم تهدف دراسته إلي استخراج ما تنطوي عليه حوادثه من رموز، والرمزية التاريخية هي المهمة، ذلك لأنها مرآة لما بين منازع الناس وقوي القدر من تنازع، ومن لم يكن في صميم الإنسانية التي تستدعي ظلها فإنه لا يطلع على غير الوقائع، ولكن دون أن يستنبط شيئا خصيبا إنماء لنفسه.

لعل القارئ يجد أن هذا البحث ليس من جنس بقية الأبحاث المصنوعة التي تخلو في بعض منها من الحقيقة، لا سيما إذا كانت مكتوبة من قبل من يمتون بصلة للقرية أو للمدينة التي يكتبون عنها، ولا هو من نوع التاريخ الموضوع الذي به شبهة تطمس نور الحقيقة التاريخية، بل هو يضيف بما تحصل عليه من المتاح المبهم من شروح وتعليقات وقراءات وروئ تاريخية جديدة تقع في سرد الحوادث واتساق التفاصيل أحسن وأفضل الوقع عند القارئ، حيث أننا لم نبالغ

أو نغرق في تصوير الأحداث ولا نحملها أكثر مما جاءت به وكانت عليه، لكي تفعل فعلها المطلوب في ذهن القارئ والمؤرخ المختص.

تناول أحد هذه المباحث التي بين دفتي هذا البحث الموقع الجغرافي والتسمية، موضحا وضع القرية من ناحية التقسيمات الإدارية المتتالية لإقليم قوص ثم تبعيتها لمدينة إسنا، ثم ورودها كقرية مستقلة يتبعها نواحي أخري.

جاء المبحث الثاني ليعالج إشكالية التركيبة البشرية لقرية أصفون خلال العصر الإسلامي وهي إشكالية فرضت نفسها في كتابات سابقة من هواة سابقين من أبناء القرية، تغلفت بنوع من فضل النسب لأهلها عن بقية أبناء الإقليم، دون أن يدري هؤلاء أن الوجود القبلي العربي الإسلامي بإقليم الصعيد الأعلى كان انتماؤه حجازيا ويمنيا في الغالب الأعم. وأن كثير من البطون اليمنية والقرشية والحجازية استقرت منذ بدايات حركة الفتوح الإسلامية للإقليم. ولعل ما تم طرحه من قبل هؤلاء يعرض في مضمونه ما ينهض معاكسا لأطر واقعية لتأويل وتسيس تاريخي، نتمنى أن تتبع بنماذج تاريخية أخري تستطيع أن تثير في باطنها إشكاليات موضوعية كثيرة تحتاج لمناقشات تاريخية واقعية أكثر من كونها تأويلية تم تهريبها لداخل الفكر التاريخي ليشربها المثقف المحلي المتخصص وغير المتخصص .

جاء المبحث الثالث ليعالج تاريخ القرية في سياق الكتابات التاريخية في العصر الإسلامي، فتتبع تطورها التاريخي، وكيف أنه يبدأ تاريخا جليا في العصر الفاطمي حيث يبدو أنها كانت واحدة من المراكز الشيعية في مصر خلال العصر الفاطمي، حيث تجذر فيها على مدار أكثر من قرن ونصف أخر بعد انقضاء دولتهم، ومحاولات كلا من الأمراء الأيوبيين والسلاطين المماليك القضاء على جذور التشيع بها. ليضعنا هذا الأمر بالاعتراف أننا ما زلنا أمام معضلة تاريخية أخرى في تاريخ هذه القرية، ما زالت تتطلب من الباحثين توظيف أدوات بحثية جديدة لدراستها بشكل توازني. ووضعها تحت الرصد التاريخي لظاهرتها التاريخية الفكرية العقائدية التي وصفت بها هذه القرية. وهو ما سوف نعالجه في بحث أخر بنظرة أكثر شمولية من المحيط الذي تقع فيه قرية أصفون.

أما المبحث الرابع فقد جاء ليعالج النبوغ العلمي لأبناء قرية أصفون خلال العصر الإسلامي، وأثره على الأوضاع العلمية بالحجاز وقوص والقاهرة . ليتضح من خلاله مدى الدور الذي يمكن أن تقدمه كتب التراجم والرحلات في رصد حركة التاريخ لبعض القري والأرياف لنعيد النظر في كثير من القضايا المثارة حول إمكانية ربط علاقات القرية والأرياف بالمدن والحاضرة خلال العصر الإسلامي، لا سيما أن مثل هذه المصادر محتوية علي معلومات لا يتطرق إليها الشك لأنها صادرة عن شوهد عيان فضلاً عن غزارة معلوماتها وندرتها. حيث رصدت هذه المصادر النبوغ العلمي لأبناء القرية في عدد من المجالات العلمية.

في حين جاء المبحث الخامس ليبين ما وصل إليه أبناء القرية في مجال السياسة والإدارة. وهو تأريخ لتمثيل سياسي لم يخلو من صرعات سياسية بين الوزراء، حيث لم تنجح لغة الحوار لتخفض حدة هذه الصراعات، وهو أمر يمثل دافعا قويا لتعميق البحث من أجل إبراز حدة هذه الصراعات التي أودت بحياة وزير أصفون نجم الدين حيث مات مسموما. وأخيرا ألمح البحث إلي حكام أصفون ونوابها وقضاتها وخطبائها في العصر الإسلامي.

المبحث الأول: الموقع الجغرافي والتسمية

ورث الفاتحون لمصر من العرب المسلمين التقسيمات الإدارية التي كانت عليها أقاليم مصر منذ العصور التاريخية المتعاقبة عليها لاسيما خلال العصرين البيزنطي والروماني، حيث أبقى الفاتحون العرب على تلك الأنظمة ، كما أبقوا على النظم والألفاظ اليونانية التي كانت تستخدم بمصر قبل قدومهم إليها.([٢]) كانت قرية أصفون خلال العصر الإسلامي تقع ضمن إقليم قوص، أحد أقاليم الصعيد الثلاث الكبرى الممتدة من الشمال إلي الجنوب (البهنسا ــ الأشمونين ـ قوص) ذلك الإقليم الممتد من أسوان حتى أعمال إخميم، وعلى ما يبدو أن وضع قرية أصفون الإداري ظل كما هو عليه في عصر الولاة بمصر ذلك العصر الممتد تاريخيا منذ الفتح العربي الإسلامي لمصر حتى قيام الدولة الطولونية أي من عام ٢١ ــ ٢٥٤هـ / ٦٤٢ ــ ٨٦٨م .([٣]) واستمر هذا الوضع الإداري خلال العصر الطولوني ٢٥٤ ـ ٢٩٢هـ / ٨٦٨ ـ ٩٠٥م. ثم في العصر الإخشيدي حيث قام الإخشيديون عام ٣٤٥ هـ/ ٩٥٦م ــ أي قبيل غروب شمس دولتهم بثلاثة عشر سنة ـ عن طريق الكاتب المصري عيسى بن بقطر بن شفا المعروف بالبولس متولى ديوان خراج مصر بمسح القري المصرية وإعادة تقسيمها إداريا حيث قسم الصعيد إلي ثمان وعشرون كورة منها كورة إسنا، وأن قرى مصر بالصعيد حسب هذا التقسيم بلغت ٩٥٦ قرية ، وهذا عددها في الوقت الذي جردت فيه الجرائد المذكورة ([٤])

على أن ثمة تعديلات جوهرية طرأت على النظام الإداري لمصر بعد دخول الفاطميون مصر وقيام دولتهم وخلافتهم بها وذلك منذ عام ٣٥٨هـ / ٩٦٩م، حيث كانت الخريطة الإدارية للقري والأعمال قد تغيرت بخراب ما خرب منها،([٥]) فما أن جاء عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ / ١٠٣٥ ــ ١٠٩٤م إلا ونراه يقوم بتعديلات جوهرية في النظام الإداري لمصر ،وهدفت هذه التعديلات

---

[٢] ـ أبو صالح الأرمني : تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني المعروف بكنائس وأديرة مصر، أكسفورد، المطبعة المدرسية، ١٩٨٣ ، ص ١٠ ـ ١١ .

[٣] ـ نعمة على مرسي : مصر العليا منذ الفتح العربي حتى سقوط الدولة الفاطمية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة سوهاج، كلية الآداب، ١٩٨٠ ، ص ٧٩ .

[٤] ـ المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق د /محمد زينهم، د / مديحة الشرقاوي ، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٩٨، ج١ ٢١٤ ـ ٢١٥ .

[٥] ــ نفس المصدر السابق، ج١ ص٢١٥ .

الجوهرية على النظام الإداري إلي تسهيل إدارة مصر، فقام الفاطميون بتقسيم بلاد الصعيد إلى ثلاثة أعمال كبرى هي كما يذكرها ابن الجيعان " القوصية أي قوص والأخميمية أي أخميم والأسيوطية أي أسيوط " حيث ذكرت كلمة عمل بدلا من كورة ،والتي كان منها عمل قوص التي كانت من أعظم الاعمال ووواليها يحكم بلاد الصعيد جميعها. وصار العمل بعد ذلك وحدة إدارية ([٦]) وهو تقسيم كما أورده أبو صالح الأرمني كان القصد منه تسهيل جمع ضريبة الخراج.([٧])

على ما يبدو أن هذه التعديلات الجوهرية جاءت لتلافي أثار الأزمة الاقتصادية المعروفة " بالشدة المستنصرية " التي ضربت البلاد لمدة سبع سنوات. وظلت أصفون على وضعها الإداري هذا حتى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله الذي قام بإحصاء للقرى المصرية في عهده وهو ما يؤكده شيخ الربوة نقلا عن تاريخ المسبحي([٨]) وظلت أصفون حتى زمن ابن تغر بردي تتبع عمل القوصية " أي قوص " حيث يذكرها ابن تغر بردي قائلا : " وأصفون من عمل القوصية من صعيد مصر" وهو ما يؤكده المقريزي في المواعظ والاعتبار عندما يقول : " والذي استقر عليه الحال في دولة الناصر محمد بن قلاوون أن الوجه القبلي تسعة أعمال منها عمل قوص وهو أجلها " ([٩]) وعلى ما يبدو أنه عاد العمل في هذا العصر بتقسيم أعمال مصر إلي كور مرة أخرى ، فضم عمل قوص ثلاثون كورة وكل كورة ضمت عدد من القرى، فكانت كورة إسنا تضم خمس قرى.([١٠]) ويبدو أن ثمة تعديل أخر جرى على التقسمات الإدارية لأعمال مصر حيث ينقل جلال الدين السيوطي عن صاحب مباهج الفكر في إقليم مصر وكوره، أن كور مصر أربع وعشرون كورة تشمل على ٩٥٦ قرية وقسمت هذه الكور إلى ولايات على

---

[٦] ــ ابو صالح الأرمني : المصدر السابق، ص ١١ . أسيوط : كتبت في كثير من المصادر وكتب التراجم " سيوط " بضم السين المهملة والياء المثناة من تحتها وسكون الواو بعدها طاء مهملة، وهي بلدة بصعيد مصر، ومنهم من يقول عنها أنها " أسيوط " بزيادة همزة مضمومة وسكون السين. انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٣ ص ٣٩٧ ، ج ٦ ص ٢٦٦ .

[٧] ــ المصدر السابق، ص١٢ .

[٨] ــ النخبة : ص ٢٢٨ . طبعة عام ١٨٦٦ .

[٩] ــ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج٧ ص ٢٣٦ . المقريزي : المواعظ، ج١ ص ٢١٥ .

[١٠] ــ المقريزي : المواعظ، ج١ ٢١١ــ ٢١٢ .

كل ولاية منها والى حرب، وقاضي، وعامل خراج، فكان من ضمن ولاية القوصية " قوص " أصفون وإسنا([١١])

هكذا صارت أصفون منذ عهد المستنصر بالله الفاطمي من إحدى القري الخمس التي تتبع إسنا التابعة لإقليم قوص. وعلى ما يبدو من سياق التراجم التي ترجمت لمن تولوا حكم إسنا في العصور التالية للعصر الفاطمي ــ العصرين الأيوبي وعصر المماليك البحرية ـ أن أصفون ظلت تتبع حاكم إسنا أو من ينوب عنه في الحكم.([١٢]) إلا أن هذه التبعية لم تعد قائمة على ما يبدو في زمن المماليك الجراكسة، وهذا يتضح من خلال ورودها منفصلة عن روك أراضى إسنا وجزائرها والتي تم مسحها([١٣]) منذ عام ٧١٥ هـ/ ١٣١٥م في عهد السلطان المملوكي حسام الدين لاجين واستمر العمل به أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وحتى عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين حيث تم أخر تقييم للأراضي المصرية انتهى العمل منه في شهر شوال عام ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م في عهد السلطان الأشرف، وهو التقييم الذي تم بواسطة شرف الدين بن يحيى المقر بن الجيعان مستوفي ديوان الجيش وكاتب الروك الناصري،([١٤]) والذي هو عبارة عن دفتر الأمراء المماليك الجراكسة وما يؤول إليهم من الأراضي المصرية ، فكانت أراضى إسنا وجزائرها والتي تتكون من ٦٤٨٨ فدان كانت أيام السلطان محمد بن قلاوون تتبع الأمير المملوكي صريتمر المحمدي، أما في عهد السلطان الأشرف شعبان فقد تبعت الديوان المفرد. أما أراضي قرية أصفون مضافة إليها طفنيس والتي كانت تبلغ

---

[١١] ـ السيوطي : حسن المحاضرة، ج١ ص ٢٦ـ ٢٧

[١٢] ــ الإدفوى : الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، تحقيق مسعد محمد حسن، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦ ص ٣٧٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٠ ،٦٩٩ ،٧١٩.

[١٣] ــ كان مسح الأراضي منذ زمن الدولة الأيوبية يتم بواسطة الماسح وهو كاتب يمشي مع القصاب في مساحة الأرض، يجمع أقصاب المساحة ويضربها، ويعمل بذلك مكلفات ، ومتى ظهر عليه أنه نقل أرضا عالية القطيعة (أي جيدة) إلى ما دونها أو أخفى مساحة أو تجاوز حدا كان عليه درك ذلك، كما يلزمه العمل بالقوانين المساحية وسجلات التحضير. انظر ابن مماتي : قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩١ م، ص ٣٠٥ .

[١٤] ــ ومستوفي ديوان الجيش هو الذي من حقه النظر في حال الجيش، وتجريد من يرى فيه المصلحة والكفاية والقدرة على توزيع التجريدات على حسب مصلحة المسلمين، انظر الأنصاري السبكي : معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق د . محمد على النجار، د. أبو زيد شلبى، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٤٨ . ص ٣٣.

مساحتها ٨٣٤٣ فدان فكانت تتبع مباشرة للديوان السلطاني باسم الأمير الأشرفي أمير دوادار.([١٥])

أما المسح الذي أورده لنا ابن دقماق فهو يكاد يختلف قليلا عن المسح السابق مع إبقاء أراضي إسنا وجزائرها منفصلة عن أراضي أصفون وطفنيس . فيذكر ابن دقماق : " أن عبرة أراضي إسنا وجزائرها ٢٢ ألف ينار، ومساحتهم ٦٤٢٦ فدانا وثلث، وهي الآن ـ أي في وقته ـ جارية في إقطاع المقر السيفي فارس بن تطلجيا حاجب الحاجب وأحد الأمراء المقدمي الألوف " ([١٦]) وفي حديثه عن أصفون أضاف ابن دقماق طفنيس إليها لكنه لم يذكر تبعتيهما لأي أحد من الأمراء، ذاكرا : " أن عبرتها ١٠٠٠٠ الآف دينار، ومساحتها ٨٧٩٣ فدانا "([١٧]) ويتضح من خلال المقارنة بين المسحين اللذين تما أن أراضي إسنا وجزائرها جاءت أقل بقرابة ٦٢ فدانا عن المسح الأول، في حين جاءت أراضي أصفون وطفنيس بزيادة ٤٥٠ فدانا عن المسح الأول.

يحد أصفون التي قال عنها شيخ الربوة " أنها بلدة طيبة "([18]) من الشمال قرية طفنيس والجبلين التابعتان لها ، ومن الجنوب مدينة إسنا. وهي تقع بالجانب الغربي لنهر النيل، وهي تقع على تل عال مشرف([19]) قيل عنها أن أرضها من أعجب الأراضي في العالم ، حيث بلغ المتحصل من زراعة ثلاثة آلاف وخمسين فدانا من أراضيها فقط عام ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م عشرة آلاف دينار جيوشي([20]) ولعل في تبعية طفنيس والجبلين لها ما تؤكده ترجمة شاعرها عبد المنعم بن على النبيه الأصفوني المتوفي عام ٦٧٠هـ/ ١٢٧٢م صاحب الدعابات والحكايات، والذي طلب منه أحد

---

[١٥] ــ ابن الجيعان : التحفة السنية باسماء البلاد المصرية، القاهرة، المطبعة الأهلية، ١٨٩٨ ، ص ١٩١. . والدوادار: هي وظيفة كانت في عصر المماليك وهي تعادل وظيفة الحاجب في عهود سابقة ، انظر : الأنصاري السبكي، معيد النعم ومبيد النقم ، ص ٢٥. وقد أكد الإدفوي على تبعية طفنيس لأصفون حيث قال خلال ترجمته لضرغام بن مفضل الطفنيسي : " وطفنيس قرية من قري أصفون " ص ٢٧١ ترجمة رقم ١٩٢ .

[١٦] ــ الانتصار بواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرفيتها، بيروت ،منشورات دار الأفاق، بدون تاريخ طبع، ج٢ ص٣٠ .

[١٧] ــ الانتصار ، ج٢ نفس الصفحة.

[١٨] ــ النخبة : ص ٢٣١ .

[١٩] ـ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ص ٢٧٧ .

[٢٠] ــ ابن الجيعان : المصدر السابق، ص ١٩١، والدينار الجيوشى هو ما كان مستخدما عصر دولة المماليك، ويعادل ثلاثة عشر وثلث درهم. نفس المصدر والصفحة.

القضاة أن يندبه في شهادة قبض غلة الديوان([21])، فتخاصم مع عامل الأرض بالجبلين، وذلك عندما تقدم مقطع الأراضي،" أي الماسح لها ومحصي ديوان الإقطاع " فركب النبيه الأصفونى يلقاه ويأنسه، فلما وصل أمير الديوان المقطع للأراضي إلى الجبلين يعد الجبال ويمسح مساحتها، قال له النبيه الأصفوني: " أن هذا العامل يأكل جبلا ويعطي للأمير جبلين " " ممازحا " فلما نزل الأمير إلى الأرض طالب عامل الأرض بالجبلين بحساب الأرض، وأوله حساب الجبلين، فرماه النبيه وضربه، وقال له أنا عددتها ثلاث، فقال العامل للأمير: يا مولانا هذا نبيه الدين ما تعرفه، فقال الأمير عرفته وقد كان ابن النبيه الأصفونى قد نظم أبياتا شعرية في استدعاءه من قبل القاضي لشهادة قبض الديوان قال في بيت منها:

شهادة القبض مع أنني رجل ما مثله في شهود البسط من رجل.([٢٢])

قد كانت أراضي الجبلين حسب ما جاء في أخر مسح لها في الروك الحسامي والذي ظل العمل به قائما حتى عصر السلطان الأشرف حسين في أواخر شهر شوال عام ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥م وهو أخر تقييم تم للأراضي المصرية من قبل مستوفي ديوان الجيش([٢٣]) حيث كانت مساحة أرض الجبلين ١٤٥٠ فدان نقا وخرس وانتاجها ثلاثة الأف دينار وكانت تتبع الديوان السلطاني باسم الأمير يشبك الأشرفي الدوادار([٢٤]) وهي مساحة وانتاجا مقاربا لما ذكره ابن دقماق في الانتصار بواسطة عقد الأمصار([٢٥]) وأيضا ما يؤكده ابن الجيعان وابن

---

[٢١] ــ الشاهد أو شاهد القبض كان من واجباته أن يضبط كل شئ مما هو شاهد فيه، وأن يكتب الحساب الموافق لتوليفه. ابن مماتي : قواوين الدواوين، ص ٣٠٤ .

[٢٢] ــ الإدفوى : الطالع السعيد، ص ٣٤٦ ــ ٣٤٧ ترجمة رقم ٢٦٩ .

[٢٣] ــ المستوفي للديوان هو كاتب يكون صاحب مجلس في الديوان يطال المستخدمين بما يجب عليهم من الحساب في أوقاته، وينبه متولى الديوان على ما يجب استخراجه من المال في حينه، ويقيم الجرايد ويقابل بكل ما يرد عليه من حساب ويستوفيه. ابن مماتى : نفس المصدر، ص ٢٩٩ .

[٢٤] ــ التحفة السنية، ص١٩١ ، يذكر ابن دقماق ان أراضي الجبلين حسب المسح الذي تم في عهده أن مساحتها ١٤٣٥ فدانا ، أي بأقل من خمسة عشر فدانا ن المسح الذي أشار إليه ابن الجيعان ، انتصار ،ج٢ ص ٣٠ والأرض النقا هي كل أرض خلت من أثر زرع فيها، ولم يبق بها شاغل عن قبول ما يزرع فيها من أصناف الزراعات، أما الأرض الخرس، فهي كل أرض فسدت بما استحكم فيها من موانع قبول الزرع، وكانت بها مراع وهو أشرر من الوسخ الغالب ، إذا أدمن على إزالة ما بها من الموانع تهيأ صلاحها. انظر : ابن مماتي قواوين الدواوين، ص ٢٠٢، المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج١ ص ٢٩١ .

[٢٥] ــ ج٢ ، ص ٣٠ .

دقماق في تبعية طفنيس لها هو ضم أرض طفنيس ضمن مساحة أرض أصفون في هذا المسح الأخير والمسح الذي تم في عهد ابن دقماق، حيث جاءت مساحة أصفون وطفنيس معا ٨٣٤٣ فدانا تفصيلية، منها ٣٠٥٠ أرض نقا، و٥٢٩٣ أرض خرص([٢٦])

قد رسمت أصفون في المصادر الجغرافية بألف وصاد، وضبطت بضم الفاء وسكون الواو والنون ووردت في التحفة السنية وغيرها باسم أصفون([٢٧]) والنسبة إليها الأصفواني أو الأصفونى والنسبة الأخيرة هي الشائع لها تاريخيا، كما جاء في نسب ابن بطوطة لعالمها نجم الدين الأصفوني([٢٨]) ــ وهذ النسبة هي ما سوف يعتمدها الباحث في هذا البحث ــ وإذا كانت المصادر الجغرافية قد أكدت رسمها ونطقها السابق، إلا أن كمال الدين الإدفوي في كتابه " الطالع السعيد الجامع لنجباء الصعيد " والذي ترجم فيه لأعلام عصره من إقليم قوص وأعماله ومدنه حتى وفاته عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م والذي كان يمر كثيرا على قرية أصفون خلال رحلته العلمية من مسقط رأسه بمدينة أدفو إلي مدينة قوص ثم القاهرة، و ترجم لعدد كبير من علماء وفقهاء هذه القرية، نراه يرسمها " أسفون " ويضبطها بسين مهملة بعد همزة مضمومة([٢٩]) وجاءت النسبة لعلمائها وفقهاءها في كتابه " الأسفوني " إلا أن على مبارك في خططه الجديدة ذكر أنها بالسين والصاد، وقال عنها إنها قرية من قرى المطاعنة بمدرية إسنا، تخرج منها ترعة أصفون الشهيرة بغرب النيل والتي تروى أغلب الإقليم ([٣٠]) وقد اسماها الترك باسم الكولا، وهو اسم مازال يطلق على المنطقة المرتفعة منها التي تقع في شرق جبانتها الشهيرة، والمحتوية أيضا على منطقة جامعها العتيق. وقديما كان يطلق على اسم هذه المنطقة (خوربر عام).

---

[٢٦] ــ ابن الجيعان : المصدر السابق، ص ١٩١ . لاحظ الفرق في مساحة الأراضي بين المسح الذي تم في عهد ابن دقماق، والمسح الذي ذكره ابن دقماق والذي أشرنا إليه في متن صفحة رقم ١٠ .

[٢٧] ــ ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج١ ص ٢١٢ ، ابن الجيعان : التحفة السنية ، ١٩١ ، الانتصار بواسطة عقد الأمصار، ج٥ ص ٣٠، شيخ الربوة : النخبة ، ص ٢٣٣ .

[٢٨] ــ ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢ ، ١٩٩٢، ص١٧١ .

[٢٩] ــ الطالع السعيد ، ص ٢٣

[٣٠] ــ الخطط الجديدة، ج٨ ص ٥٧ ، رمزي : القاموس الجغرافي، ج٤ ص ١٥٢ ، انظر عنها أيضا ، أعيان الشيعة، الامام السيد محمد الأمين، بيروت ، دار المعارف للمطبوعات، ١٩٨٣ ج١ ص ٥١٧ ، وقاموس بوانة، ص ٩٠ .

المبحث الثاني: التركيبة البشرية لقرية أصفون في العصر الإسلامي.

تعد أصفون واحدة من القرى الهامة بمصر القديمة بإقليم الصعيد الأعلى حيث أنها تحتوي على دلالات وشواهد أثرية فرعونية ورمانية وقبطية، كما تحتوى على كنوز قديمة. فقبل الفتح الإسلامي لمصر عام ٢١هـ / ٦٤٢م على يد القائد عمرو بن العاص، كان يسكن أصفون مجموع من الأقباط المصريين، المعروفين بالعلم والمهارة، حيث كان بالقرية دير كبير([٣١]) ما زال هذا الدير يقع غرب القرية ويسمي بدير الفاخوري.

مما لا شك فيه أن هناك عددا من أبناء القبائل العربية التي جاءت مع حركة الفتوحات الإسلامية والتي استقرت بإقليم الصعيد، استقر بعضا منها بقرية أصفون، فيذكر القلقشندي أن بطونا من بني هلال بن عامر بن صعصعة من هوازن من قيس عيلان العدنانين، ــ منهم ميمونة زوج النبي ﷺ، وهي من بني عبد الله بن هلال، وفيه الشرف في بني هلال، ومنهم أيضا زينب زوج الرسول ﷺ والتي توفيت في حياته ــ وقد سكن بنو هلال بالصعيد وكانوا أهل بلاد الصعيد كله إلي عيذاب([32])، ومنهم بإفريقية وبلاد المغرب ومن هذه البطون بنو حجير وبنو عزيز ورفاعة ومنهم طائفة بأصفون من بني عقبة وبنو جميلة، ومن بني جميلة الشيخ الفقيه العالم نجم الدين الأصفوني وسكن منهم بإسنا الدويحية والعزازية وغيرهم ([33])

لعل في إشارة القلقشندي هذه ما يؤكد على أن القرية شهدت منذ حركة الفتوح الإسلامية صنوف وأعراق بشرية عديدة، ومن هذه الأعراق البشرية من ينتمى إلى قبيلة قريش فمن المعروف أن قريش بعد الإسلام تفرقت افخادا كثيرة كالبكريين والعمريين والعثمانيين والعلويين والزبيريين والعوفيين وغيرهم، وبالجملة فقريش كما يقول القلقشندي " ملأت أقطار الأرض، وانتشرت في الأفاق حتى لم يخل منهم

---

[٣١] ــ المقريزى : المواعظ والاعتبار، ج١ ص ٢١٣ــ ٢١٤ .

[٣٢] ــ عيذاب : بفتح العين وسكون الياء المثناة وفتح الذال المعجمة وبعد الألف باء موحدة هي بليدة على شاطئ البحر الأحمر بمصر قبالة مدينة جدة الحجازية كانت ميناء للركب المصري من الحجاج وأيضا التجار المصريين والمغاربة والأندلسيين وغيرهم للتوجه لبلاد الحجاز عن طريق قوص، في ليلة واحدة في أغلب الأوقات، حيث يصل منها إلى جدة، ومن جدة إلى مكة مسافة يوم. ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٥ ص ٣٨٨

[٣٣] ــ القلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري ج٢ ١٩٨٢ ، ص ١١٧ ، ١١٩ .

قطر، وأفق من الأفاق" ([34]) ومنهم من بنى أمية وبنو هاشم ، كما شهدت حركة الفتوح أيضا تدفق من قبائل الأنصار ومن القبائل اليمنية ، حيث يروى بأن الذي كان على فتح القرية هو القائد الأمير غانم بن عياض الأشعري، المدفون بها، والذي ما زال قبره مزارا لأهل القرية والقرى المجاورة لها. ولكن بالبحث المدقق في المصادر التاريخية ومصادر فتوح البلدان وأيضا كتاب تاريخ المصريين لابن يونس وكتاب حسن المحاضرة للإمام جلال الدين السيوطى واللذان ذكرا فيهما جميع الصحابة والتابعين الذين دخلوا مصر منذ فتحها، لم نتحصل بشكل مباشر على ترجمة للقائد الأمير غانم بن عياض الأشعري ودخوله أصفون فاتحا لها. إلا أن هناك خمسة تراجم تم ذكرها في هذه المصادر هي أقرب التراجم في النسب إلى الأشاعرة ــ الذين دخلوا مصر، من بنو أشعر بن سبأ الذين يقال لهم الأشعريون والذين منهم أبو موسى الأشعري أحد صحابة رسول الله ﷺ، الذين كانوا موجودين ببلاد اليمن بالقرب من مدينة زبيد ([35]) منهم كعب بن عاصم أبو مالك الأشعري، الذي كان له صحبة ورواية روى عنه جابر وأم الدرداء الشامى نزيل مصر([36]) وكعب بن عاصم الذي يكنى بأبي فاطمة الأشعري، والذي شهد فتح مصر، وتوفي في خلافة الخليفة عمر بن الخطاب، وللمصرين لهم عنه حديث، وهو كما يذكر الأسيوطى أنه غير كعب بن عاصم الأشعري أبو مالك السابق الذكر([37]) أما الاسم الذي ورد فيه اسم عياض من صحابة رسول الله الذين دخلوا مصر، فهو عياض بن سعيد بن جبير بن عوف الأزدي الحجري، وقد شهد هذا الصحابي فتح مصر، وقيل عنه أنه لم يرو شيئا من الأحاديث النبوية([38]) ومعروف أن الأشاعرة ينتمون إلي قبيلة الأزد اليمنية.

أما أقرب هؤلاء الخمسة من صحابة رسول الله الذين دخلوا مصر ويقترب كثيرا من المتعارف عليه عند أبناء قرية أصفون غانم بن عياض الأشعري فهو عبد الرحمن بن غنم الأشعري، الذي له صحبة،، وروى أهل مصر عنه حديث واحد، وكان عبد الرحمن بن غنم دخل مصر في زمن مروان بن الحكم بن أبي

---

[٣٤] ــ قلائد العقيان، ص١٣٨ .

[٣٥] ــ القلقشندي : المصدر السابق، ج٢ ص ١٠٥

[٣٦] ــ السيوطي : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتاب العربي ١٩٦٧، ج١ ص ٢٢٩ ترجمة رقم ٢٣٠ .

[٣٧] ــ السيوطي : المصدر السابق، ج١ ص ٢٤٩ ترجمة ٣٣٢ .

[٣٨] ــ ابن يونس المصري : تاريخ المصريين ، جمع وتحقيق د. عبد الفتاح فتحي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠ ج١ ص ٣٨٦ ،السيوطي : المصدر السابق، ج١ ص ٢٢٥ ترجمة ٢١٧ .

العاص الأموي، الذى هو عند طائفة كثيرة من أهل العلم والتاريخ أنه صحابي لأنه ولد في حياة الرسول ﷺ، حيث كان له ثمان سنين عند وفاة رسول الإسلام.([39]) أما الاسم الخامس والذي ذكر ضمن القضاة الذين تولوا قضاء مصر في أواخر المائة الأولى من الهجرة ، فهو القاضي عياض بن عبد الله بن ماجد بن مسعود بن عمرو بن الأعرج بن عوف بن كثير بن عبد الأزدي ثم السلاماني ،والذي ولاه والى مصر قرة بن شريك القضاء في شهر جمادى الأولى عام ٩٣هـ/ ٧١٢م فأقام قاضيا مدة أربع سنوات، ثم صرف عن القضاء في شهر رجب عام ٩٧هـ/ ٧١٦م ثم اعيد إلى القضاء بأمر الخليفة سليمان بن عبد الملك وظل قائما على القضاء إلى نهاية عهد الخلية الأموى سليمان بن عبد الملك وبعضا من خلافة الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .([40])

أما الاسماء الأخرى والتي ورد فيها غانم وعياض ويبتعد نسبها عن الأشاعرة الأزديين، منها الفضل بن غانم المروزي الخزاعي الذي قدم إلى مصر بصحبة المطلب بن عبد الله الخزاعي، وكان وجوده بمصر قبل عام مائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام متوليا للقضاء بمصر ([41]) وعياض بن جريبة بن سعد بن الأصبع الكلبي ، أمه الغالية بنت عياض بن النعمان بن سبرة الكلبي، الذي كان على زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز، وروى عن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، كما روى عنه عمرو بن الحارث، والليث بن سعد، وكان عياض على شرطة مصر وذلك خلال إمرة والى مصر " حنظلة بن صفوان الكلبي " وذلك في خلافة الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وكان عياض بن جريبة قد

---

[39] ــ السيوطي : نفس المصدر ج١ ص ٢١٧ ترجمة رقم ١٧٤ وربما تكون سلالة بني غنم الأشعري قد أقامت بمصر، ولعل يكون من سلالة غنم الأشعري، أو من سلالة ابنه عبد الرحمن " عامر بن أحمد بن حمدان بن غانم المقرئ النحوي، المنعوت بالمصري المتوفى عام ٣٣٣ هـ " والذي قرأ عليه محمد بن على الإدفوى وعامة أهل مصر، وكان له مؤلف في اختلاف القراءات السبعة، انظر السيوطي: نفس المصدر، ج١ ص ٤٨٨ ترجمة ٢٢ من أئمة القراءات بمصر.، ج١ ص٤٩٠ ترجمة رقم ٣٢ ترجمة محمد بن على بن أحمد الإمام أبو بكر الإدفوى، عالم القراءات والمتوفي عام ٣٨٨ هـ.

[40] ــ ابن حجر العسقلاني : رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق على محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٨، ص ٢٩٣، ترجمة رقم ١٥٧، السيوطي : المصدر السابق، ج٢ ص١٣٨

[41] ــ ابن حجر العسقلاني : رفع الإصر، ص ٣٠٤ ، ٣٠٦ ترجمة رقم ١٦١ . انظر ترجمته أيضا في ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ٢٧٤ ، وعند الكندي ص ٤٢٠ ، وفي تاريخ بغداد ج١٢ ص ٣٥٧ ، وفي ميزان الاعتدال، ج٣ ص٣٥٧ ، و لسان الميزان، ج٤ ص ٤٤٥ .

تولى أيضا رباط الإسكندرية في ولاية أخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد، ثم تولى ولاية برقة عام ١٣٨هـ/ ٧٥٥م في خلافة بني العباس. ويذكر الكندي أن عياض بن جريبة تولى ولاية الصلاة على مصر عام ١١٩هـ/ ٧٣٧م، وأن خلال توليه شرطة مصر انتفض عليه أهل الصعيد، وحاربه القبط عام ١٢١هـ/ ٧٣٩م فصرف عن ولاية الشرطة عام ١٢٢هـ/٧٤٠م حيث وليها بدلا منه قيس بن الأشعث التجيبي.([٤٢])

أما عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن خذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى القرشي العامري، المولود بمكة المكرمة والذي قدم مصر برفقة والده عبد الله بن سعد بن أبي سرح،([٤٣]) وذلك في خلافة سيدنا عثمان بن عفان عام ٢٣ هـ/ ٦٤٤م بعد عزل سيدنا عمرو بن العاص عن ولاية مصر في ذلك العام. ومن المعروف تاريخيا أن فتح الصعيد الأعلى تم بشكل نهائي في ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح، والذي توجه بعد فتحه لفتح بلاد النوبة حيث تم له ذلك عام ٣١ هـ/ ٦٥٢م حيث عقدت بينه وبين بلاد النوبة معاهدة الصلح المعروفة " بمعاهدة البقط ". وكان الأمير عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد ظل وقتا كبيرا بمصر ثم غادرها إلى مكة المكرمة وظل بها إلى أن توفي.([٤٤]) فهل كان الأمير عياض على فتح أصفون في عهد أبيه والى مصر عبد الله بن سعد أبي سرح، وأن اسم غانم المضاف إليه جاء من غنم الفتح، حيث أنه من المعروف تاريخيا أيضا أن فتح الصعيد الأعلى من قبل الجيوش الإسلامية قد واجه مشاكل عديدة بسبب كثرة تمركز أقباط مصر بأغلب مدن الصعيد وقراه، كما كانت هذه القري على علائق دينية وتجارية وثيقة ببلاد النوبة حيث تسود المسيحية، وتغذيها الامبراطورية الرومانية التي كانت تخشى امتداد حركة الفتوح الإسلامية ووصولها إلي حدودها مع مصر عبر بلاد النوبة من جهة وحدودها الشرقية عبر برقة من جهة أخري بعد أن فقدت هذه الامبراطورية أراضيها في بلاد الشام ومصر بسبب حركة الفتوح الإسلامية.

---

[٤٢] ــ انظر تعليقات المحقق لكتاب ابن يونس، ص ٣٨٦ .وهناك خطأ في ذكره للمترجم له أنه تولى برقة عام ٢٣٨ ، والصواب ما أشرنا إليه أن هذه الولاية له كانت عام ١٣٨ هـ.

[٤٣] ــ ابن يونس : تاريخ المصريين، ج١ ص ٣٨٦ .

[٤٤] ــ ابن يونس : نفس المصد ر والصفحة. والأمير عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح من رواة الحديث حيث روى عن ابن عمرو وأبي هريرة، وروى عنه زيد بن أسلم وسعيد بن هلال.

إذن يظل السؤال مطروحا دون الوصول لإجابة عليه، فهل كان عياض بن غنم الأشعري ضمن صحابة رسول الله الذين دخلوا مصر وتحملوا لواء القيادة لحركة الفتوحات الإسلامية بمصر وكان من ضمن الفاتحين لقرى ومدن الصعيد الأعلى، هو والد الصحابي عبد الرحمن بن غنم الأشعري. أم أن الصحابي عبد الرحمن بن غنم الأشعري الذي تذكر المصادر أنه دخل مصر زمن مروان بن عبد الملك بن الحكم بن أبى العاص، الذي ولى أبنه عبد العزيز على مصر عام ٦٥هـ/ ٦٨٥م ومن المعروف أن عبد العزيز بن مروان بن عبد الملك المتوفي عام ٨٦هـ / ٧٠٥م وال مصر هو الذي أشرف على تعريب الدواوين بمصر خلال ولايته لها، ويكون عبد الرحمن بن غنم الأشعرى واحدا من الذين تولوا أو أشرفوا على ذلك بقرية أصفون، حيث أنه من المعروف أن القرية حتى ذلك الحين كانت تحوي عددا كبيرا من القبط النصارى، وواحدة من القري التي تمتلك أراضي شاسعة، فالذي كان يعمل به بمصر على عهد ملوكها قبل الفتح الإسلامي أنهم كانوا يقرون القرى في أيدى أهلها كل قرية بكراء معلوم لا ينقص عنها إلا في كل أربع سنين ... فإذا مضت أربع سنين نقص ذلك وعدل تعديلا جديدا ... فإذا جبى الخراج وجمع كان للملك من ذلك الربع خالصا لنفسه، والربع الثاني: لجنده ومن يقوى به على حربه، والربع الثالث: في مصلحة الأرض وما تحتاج إليه جسورها وحفر خلجانها، وبناء قناطرها والقوة للزارعين على عمارة أرضهم، والربع الرابع: يخرج منه ربع ما يصيب كل قرية من خراجها، فيدفن ذلك لنائبة تنزل أو جائحة بأهل القرية.([٤٥]) وقد استمر العمل بذلك بعد الفتوحات الإسلامية لحين تعريب الدواوين، مع تعديلات على خراج الأراضي حسب ما جاء في ديوان الخراج، حيث جاءت تساؤلات الخليفة ابن الخطاب وتساؤلات عمرو بن العاص للمقوقس صاحب مصر. أم أن الفاتح لقرية أصفون هو الأمير عياض الذي قدم مع والده عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي تولى ولاية مصر عام ٢٣ هـ/٦٤٤م وتم على يديه فتح بقية مدن وقرى الصعيد الأعلى، وكانت قرية أصفون واحدة من القري المفتوحة على يديه.

إذا كانت المصادر التي أرخت لأنساب القبائل العربية سواء منها الحجازية أو اليمنية أو الشامية أو العراقية التي تدفق أبنائها خلال حركة الفتوحات الإسلامية على مصر، أو حتى كتب التراجم والطبقات التي حوت على تراجم لأبناء القرية، لا تحدثنا بشكل مباشر عن أبناء هذه القبائل التي استقر بعضا

[٤٥] ـ المقريزي : المواعظ والاعتبار ج١ ص ٢١٥ ـ ٢١٦ .

منها بقرية أصفون، حيث تنتهي ترجمة المؤلف له في الغالب الأعم إلي موطن استقراره سواء كان مدينة أو قرية أو منتميا إلي مذهب من المذاهب الإسلامية الأربع ،وهو أسلوب درج على اتباعه معظم المؤلفين لكتب التراجم والفهارس والبرامج بعد مطلع القرن الخامس الهجري، بعد أن كان سابقا في القرون الأولى من الإسلام ينسب إلي القبيلة التي ينتمي إليها. إلا أنه يستنبط من ثنايا البعض منها إشارات إلي استقرار بعض البطون العربية بهذه القرية مثل بطون بنو هاشم كما جاء في ترجمة العالم تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد الهاشمي المكي الأصفوني المولود بأصفون عام ٧٨٧هـ / ١٣٨٥م والمتوفي عام ٨٧١ هـ/ ١٤٦٧م ([٤٦]) ومحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فهد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن القسم بن عبد الله بن جعفر بم محمد بن على بن أبى طالب المشهور باسم التقي أبو الفضل بن النجم أبى النضير بن الجمال أبى الخير بن العلامة اقضى القضاة الجمال عبد الله الهاشمي الأصفوني ثم المكي الشافعي من سبط العالم الجليل النجم الأصفوني المولود بأصفون في ربيع الثاني عام ٧٨٧ هـ/١٣٨٥م ولعل في ترجمة هذا العالم الجليل ما يؤكد لنا ارتباط قبائل القرية بالأشراف القرشيين بمكة المشرفة، فوالد محمد بن محمد المولود بمكة عام ٧٦٠ هـ/١٣٥٩م ، كان قد حل بأصفون لاستخلاص جهات " أي أراضي " موقوفة على أمه خديجة أبنة النجم الأصفوني، حيث ثرآل " أي خضع " استحقاقها له، فتزوج بابنة عم جدة النجم الأصفوني والتي تسمى فاطمة، أبنة أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم القرشية المخزومية وهي أبنة عم جده لأمه العلامة النجم عبد الرحمن بن يوسف الأصفوني الفقيه الشافعي، فولدت له بأصفون محمد التقي المشار إليه آنفا، وكان قد قطن أصفون وقتا، وكان يتردد منها في بعض مواسم الحج إلى مكة ، ثم انتقل به أبوه في سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م إلي بلده مكة حيث سافر به عبر طريق القصير([٤٧])، وكان لمحمد التقى شأن علمي كبير بمكة حيث حفظ بها القرآن الكريم وقرأ بها كتاب العمدة والتنبيه وألفيته، وكذلك النحو والحديث الشريف وبعضا من كتاب الحاوي ودام بمكة حتى مات بها في ربيع الأول من

[٤٦] ــ الأنصاري السبكي : فتح الباقي بشرح ألفية العراقي. باكستان، صادق أباد، دار ابن حزم، ١٩٩٩ ص ١٠ من مقدمة المحقق. وكان من تلاميذ المذكور الشيخ الإمام أبى زكريا محمد الأنصاري السنيكي الأزهري ثم الشافعي، صاحب كتاب فتح الباقي ومؤلفات أخرى.

[٤٧] ــ القصير : إحدى المنازل المعروفة على يسار المتوجه إلى بلاد الشام من مصر على ساحل البحر الأحمر. ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١ ص٦٢ .

عام ٨١١ هـ/ ١٤٠٨م ودفن عند سلفه بالمعلا رحمة الله عليه([٤٨]) وكذلك ترجمة عبد الرحمن بن يوسف محمد بن إبراهيم، العلامة نجم الدين أبو القاسم القرشي الأصفوني المتوفى عام ٧٥١ هـ/ ١٣٥٠م ([٤٩]) وكذلك كما ورد في ترجمة السيدة فاطمة المدعوة بحليمة ابنة أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القرشي المخزومي الأصفوني المكية المتوفية عام ٨٣٧ هـ/ ١٤٣٤م ([٥٠]) وأيضا من بنى تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر لا سيما منهم من ذرية سيدنا أبو بكر الصديق التيمي القرشي رضي الله عنه، لا سيما من نسل ولديه عبد الرحمن ومحمد. حيث توفي عبد الرحمن الذي أسلم في هدنة الحديبية بعد العام السادس من الهجرة وتوفي عام ٥٣ هـ/ ٦٧٣م، أما محمد ويكنى أبو القاسم والذي كان من نساك قريش أمه أسماء بنت عميس الخسمعية فقد تولى ولاية مصر زمن الخليفة عثمان بن عفان، ثم تولاها مرة ثانية في خلافة سيدنا على بن أبي طالب وهو الذي جرى بينه وبين سيدنا عمر بن العاص حرب بعد وقعة صفين وتولى عمرو مصر من قبل سيدنا معاوية ابن أبي سفيان مرة ثانية عام ٣٨ هـ/ ٦٥٨م ، ([٥١]) حيث ينقل القلقشندي عن الحمداني أن من البكريين جماعة بالصعيد وهم بنو طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وهم ثلاثة فرق، وهم أقرباء، وقد أطلق على الكل اسم بنو طلحة ([٥٢]) ويذكر أحد الهواة الذين كتبوا عن قبائل القرية عبر صفحات الأنترنت بناء على إحدى وثائق قبيلة الجعافرة التى أطلع عليها والتي بها معلومات عن قبيلة عرب قصاص تذكر الوثيقة إنها إحدى قبيلة قصة من ذرية طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، والتي

---

[٤٨] ــ السخاوى : الضوء اللامع من أهل القرن التاسع، بيروت مكتبة الحياة، بدون تاريخ ، ج٩ ص ٢٣١ ، ترجمة رقم ٥٧٠ .

[٤٩] ــ ابن نغر بردي : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بدون تاريخ، ج٧ ص ٢٣٦ ، ترجمة رقم ١٤١٠ (نجم الدين الأصفوني ٦٩٩ ــ ٧٥١ هـ)

[٥٠] ــ السخاوي : المصدر السابق. ج ١٢ ص ٨٨، ترجمة رقم ٥٤٥ .

[٥١] ــ القلقشندي : قلائد العقيان ، ص ١٣٨ ،

[٥٢] ــ القلقشندي : المصدر السابق ، ص ١٣٨ ، عبد الله خورشد : القبائل العربية في مصر في القرون الثلاث الأولى من الهجرة، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢ ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

من بطونها سلمان وخلف وجودة، ومسعود، بناحية أصفون، ومنهم محمد وأولاده وجماعته بناحية دنفيق وراشد بالمراشدة.([٥٣])

لعل ما تجدر الإشارة إليه هنا أن بعد مرور أكثر من مائة عام على انسياح حركة الفتوح الإسلامية في إقليم الصعيد الأعلى كانت القري عامرة بالسكان، حيث يذكر الليث بن سعد أن والى مصر الوليد بن رفاعة خرج ليحصي عدة أهلها وينظر في تعديل الخراج عليهم، فأقام في ذلك ستة أشهر بالصعيد حتى بلغ أسوان ومعه جماعة من الكتاب والأعوان يكفونه ذلك بجد وتشمير، وثلاثة أشهر بأسفل الأرض، فأحصو أكثر من عشرة الأف قرية كانت أصغر القري بها خمسمائة نفر من الرجال الذين تفرض عليهم الجزية.([٥٤])

[٥٣] ـ أحمد فرغل الدعباسي : مدونة أحمد فرغل على شبكة الأنترنت (مقتطفات عن أصفون) ٢٠١٦ .

[٥٤] ـــ المقريزي : المواعظ والاعتبار، ج١ ص ٢١٥ .

المبحث الثالث : ظهور قرية أصفون في سياق الكتابات التاريخية.

لا تحدثنا المصادر التاريخية الإسلامية عن كثير من المعلومات التاريخية الحدثية قبيل العصر الفاطمي لقرية أصفون، اللهم إلا فيما يخص بناء مسجدها الجامع وذلك في إطار توجيهات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من خلال كتابه الذي كتبه إلى عماله في الأمصار الإسلامية المفتوحة أن يتخذوا مسجدا جامعا في كل بلد ليؤدي فيها المسلمون الصلوات الجامعة، وقد شيد عمرو بن العاص فاتح مصر ووالياها المسجد الجامع بالفسطاط حاضرة مصر الأولى بعد الفتح الإسلامي لمصر، وتيمنا بجامع الفسطاط الذي اطلق عليه الجامع العمري ـ بفتح العين وسكون الميم ـــ اطلقت التسمية بعد ذلك على العديد من المساجد التي أنشأت في أصقاع وأقاليم مصر جميعها، ومنها إقليم الصعيد الأعلى مثل الجامع العمري بقوص وأسوان وأدفو وإسنا وأصفون وغيرهما من بلدان وقرى الصعيد.([٥٥]) ولعل في الإشارة التاريخية ألتي أوردها لنا ابن بطوطة في رحلته ما يؤكد ذلك فقد ذكر ابن بطوطه أن " بها مسجد عتيق بناه الصحابي عمر بن العاص، وقيل أن هذا المسجد هدم وبني مرات " ([٥٦])

إذا كان مسجد أصفون العمري خلال تاريخ القرية في العصر الإسلامي قد هدم عدة مرات، إلا أن مأذنة المسجد التي أشير إلي أنها بنيت خلال عصر الدولة الفاطمية في عهد الوزير بدر الدين الجمالي ٤٦٦ ـ ٤٨٧ هـ / ١٠٧٣ ـ ١٠٩٤ م ـــ الذي كانت له مساهماته الواضحة في الحركة العلمية وانتشار المذهب الشيعي ـــ ظلت قائمة حتى يومنا هذا، وقد تدخلت منذ عام ٢٠٢٣ م هيئة الآثار إلي ترميمها وإعادتها إلي ما كانت عليه حين تشيدها ([٥٧])على أن

---

[٥٥] ـــ جمال عبد الرؤوف عبد العزيز، مساجد مصر العليا الباقية من الفتح حتى نهاية العصر العثماني، دراسة أثرية معمارية، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، كلية الآثار ، ١٩٨٥ ، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .

[٥٦] ـــ ص ١٧١ .

[٥٧] ـــ الوزير بدر الدين الجمالي أبو النجم العبيدي كان مملوكا وتنقل في الولاة حتى ولى إمارة دمشق من قبل الخليفة المستنصر الفاطمي في شهر ربيع الأخر عام ٤٥٥ هـــ ، حيث فوضه الخليفة المستنصر في أمر مصر ليكفية من يعارضه فيها فدخل مصر عام ٤٦٦ هـ ووالاه أمر الجيش ، كما جعل له المستنصر أمر القضاة والدعاة ولقبه بالسيد الأجل كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين، فتجرد إلى قمع المفسدين حتى أبادهم ، وأنشأ دولة جديدة حيث طاف بالبلاد وأزاح عنها المتغلبين من العرب وغيرهم حيث اوقع بهم في كثير

تاريخ القرية يبدأ واضحا جليا إبان العصر الفاطمى ، ذلك العصر الذي حرص فيه الخلفاء الفاطميون على تجديد وعمارة المساجد في الصعيد الأعلى كجزء لا يتجزأ من مساجد مصر، نظرا لأهميتها في نشر المذهب الشيعي، حيث قاموا بتطويرها والعناية بها ورصد مبالغ مالية شهرية للقومة عليها، ونجحوا في نشر دعوتهم، فجعلوا نواب لداعي الدعاة الشيعي يشرفون على ذلك([٥٨]) وبذلك أصبحت مساجد الصعيد الأعلى ملتقى للعلماء والفقهاء الشيعة الذين تولوا شرح عقائد المذهب الشيعي ،حيث بدأ أهالي القرية مثلهم مثل بقية بلدان الصعيد الأعلى ــ لا سيما أرمنت وإسنا وأدفو ــ يتخذون من المذهب الشيعى مذهبا رسميا لهم، وهو المذهب الذي كان عليه خلفاء الدولة الفاطمية. وعلى ما يبدو أن حركة التشيع بالقرية كانت عميقة الجذور " حيث كانت بقايا الرافضة موجودة في إسنا وغيرها مما يقاربها " ([٥٩])الأمر الذي جعل التشيع فاشيا بها خلال هذا العصر والعصرين التاليين له. ويذكر الأسنوى في طبقات الشافعية مبررا هذا الأمر بقدوم عدد كبير من الشيعة الرافضة إلى إسنا وما جاورها " اعتقادا من المصريين الذين كانوا ما زالوا على المذهب الشيعي ببعد هذه البلاد عن القاهرة ومصر، مع قرب العهد بمذهبهم فلم يزل قائما في ذلك إلى أن أنطفى مذهبهم "([٦٠])

من المدن المصرية إلى أن صفت له البلاد ثم توجه إلى الصعيد الأعلى حتى بلغ أسوان فقتل كبير الدولة الذي كان يغلب عليها فهزمه وقتله، وبنى بها مسجد النصر ،عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١ ص٢٩٥، ج٢ ص ٤٤٨ــ ٤٥٠، ابن حجر العسقلاني : رفع الإصر عن قضاة مصر، ص ٩١ــ٩٢ ترجمة رقم ٤٢. وبحسب ما جاء على لسان الأستاذ محمد محى الين سلام كبير مفتشي أثار إسنا في العصر الإسلامي، وذلك قبيل إجراء الترميمات الأخيرة التي قامت بها هيئة الآثار منذ عام ٢٠٢٣ فإن مأذنة أصفون تعد توئم لشفيقتها مأذنة إسنا حيث يبلغ ارتفاع مأذنة أصفون ٢٢,٩٢ متر، ويبلغ طول القاعدة ٣,٥٠ متر وارتفاعها ١٢,١ ،ويعلو هذه القاعدة المربعة مربع أخر به نوافذ وبأركانه الأربعة مقرنصات ممتدة تتخللها روابط خشبية يعلوها بدن إسطواني ثم بدن مثمن، ثم رشفة خشبية تساقط معظم خشبها، ثم جوسق علوي. وبداخل المأذنة سلم صاعد معظمه متهالك ويدعم قاعدة المأذنة أكتاف ساندة، وتحتوى هذه المأذنة على مجموعة من الزخارف المعمارية، ويتشابه طرازها مع طراز مأذنة إسنا وهو الطراز الشائع في عصر بدر الدين الجمالي. عن مأذنتي أصفون وإسنا انظر ملحق رقم (١) ورقم (٢) بنهاية البحث.

[٥٨] ــ ممدوح محمد حسن : المؤسسات والعلوم الدينية بالصعيد الأعلى خلال العصر الفاطمي، مجلة كلية الآداب ، جامعة سوهاج، عدد يوليو ٢٠٢٥ الجزء الثاني، ص ١٢٧ .

[٥٩] ــ الإسنوى : طبقات الشافعية، تحقيق كمال الدين يوسف ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧ج٢ ص ٣٣١ .ترجمة رقم ٩٦٥ ترجمة بهاء الدين القفطي .

[٦٠] ــ الإسنوي : المصدر السابق، ص ٣٣١ .

لعل فرار أعداد كبيرة من أصحاب المذهب الشيعى إلي أصفون وإسنا وأدفو هو الذي دفع بالأمير صلاح الدين الأيوبى ٥٣٢ ـ ٥٨٩ هـ / ١١٣٧ ـ ١١٩٣ م والذي تولى الوزارة في عهد الخليفة العاضد الفاطمي ٥٥٥ ـ ٥٦٧ هـ/ ١١٦٠ ـ ١١٧١ م والذي أخذ على عاتقه مهمة القضاء على الدولة الفاطمية الشيعية وقطع الخطب الشيعية من على منابر المساجد المصرية، فمنذ بدايات قيام دولة الأيوبيين بمصر بدأ يتتبع أنصار طوائف الشيعة التي انتقلت جماعات كثيرة منهم إلى أصفون وإسنا. فذاع صيت إسنا وأصفون بسبب ذلك . كما اتخذ الملك الناصر " صلاح الدين يوسف بن أيوب " بعض الاجراءات الأخرى والتى من شأنها تحد من هذا الانتشار وهذه الاستمرارية لهذا المذهب فعمل على قطع الأذان بحي على خير العمل من ديار مصر كلها، وعزل قضاة مصر لأنهم كانوا شيعة، وولى أقضى القضاة بها صدر الدين بن درياس الشافعي، واستناب في سائر الأعمال المصرية شافعية " ([٦١]) " وأخذ السلطان الأيوبي صلاح الدين في نصر السنة، وإشاعة الحق، وإهانة المبتدعة والانتقام من الروافض، وكانوا بمصر كثيرين"([٦٢]) وعندما ظل التشيع قائما بأصفون رغم تعيين قضاة وفقهاء شافعية عمل بقية الأمراء الأيوبيين على مقاومة الشيعة في كل أرجاء البلاد المصرية وإعادة المصريين إلى المذهب السنى. إلا أن صيت المذهب الشيعي ظل ذائعا بإسنا وأصفون حتى خارج نطاق الديار المصرية،

[٦١] ــ السيوطي : حسن المحاضرة، ج٢ ص ٥ . الجدير بالذكر هنا أن معظم الفقهاء الذين تخرجوا من مدارس قوص والصعيد الأعلى في ذلك كانوا على المذهب الشافعي، ولذلك كان القضاء يخضع لقضاة المذهب الشافعي، وكان من سلطة قاضي القضاة الشافعية بالقاهرة تعيين نواب له في مصر كلها بما فيه الصعيد حيث كان لكل مدينة من مدن الصعيد قاض في عصر المماليك ولهذا القاضي كان يقوم بتعينه أو عزله قاضي القضاة الشافعية بالقاهرة، ويبدو أن التنظيم الإداري لتعيين القضاة كان يخضع لسلطتين قضائيتين : قاضي الولاية الأعلى، وقاضى القضاة الشافعية بالقاهرة، وذلك كان يتم من خلال إصدار قاضي القضاة أمر التولية أو أمر العزل في ضوء التقارير التي يرسلها القاضي الأعلى للولاية، ومن الملاحظ أيضا أن قاضي القضاة كان يتيح حرية الاختيار للقاضي المعين في اختيار المدينة التي يرغب العمل بها والذي غالبا ما كانوا يفضلون اختيار بلدانهم ومدنهم. انظر محمد عبده الحماصي : قوص في التاريخ الإسلامي، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب،١٩٨٢ ، ص١٠٣ ـ ١٠٤ . سعيد عثمان يونس : صعيد مصر في عصر المماليك البحرية (٦٤٨ ـ ٧٨٤ هـ) رسالة ماجستير، جامعة أسيوط، كلية الآداب بسوهاج، قسم التاريخ، ١٩٩٥ ، ص ٣٤٢ . محمد إبراهيم : قمولا في عصر المماليك البحرية ، ص ٢١١ ،

Garcin (J.C) une centre Muslman de la haut Egtpte medivaive,Qus .le caire, 1976 .

[٦٢] ــ السيوطي : نفس المصدر ، ج٢ ص ١٧ .

فعند توجه إسماعيل بن هبة الله بن على الأسنائي والمتوفى عام ٧٠٠ هـ/ ١٣٠١م والذي كان تولى الحكم بالقاهرة إلي حلب ليدرس وليتولى نظارة الأوقاف بحلب ، ظن الشيعة بحلب بكونه من إسنا أنه شيعي ، مما أضطره أن يؤلف كتابا في فضائل سيدنا أبى بكر الصديق([٦٣])" كما أورد لنا الصفدي في أعيان العصر حين ترجم للفقيه الحنبلي سليمان بن عبد القوي المتوفي عام ٧١٠ هـ/ ١٣١٠م " أنه كان شيعيا يتظاهر بذلك، ووجد بخطه هجو في الشيخين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقد شهد عليه بالرفض، وضرب، وتوجه من القاهرة إلى قوص وأقام بها سنينا متواريا بعيدا عن السلطة ثم سافر من قوص إلى الحجاز " ([٦٤])

كما أنه عندما توجه الأمير داود بن سليمان الذي هو من نسل الأمير العاضد الأيوبي إلي الصعيد عام ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨م لكبح حركة التشيع بالقوة حيث تحركت جماعات الشيعة به، وبلغ تحرك الأمير داود، علاء الدين الأصفوني الذي كان يتولى الصلاة بأصفون نيابة عن هذا الأمير، نصحه بالرجوع والكف عن ذلك قائلا :

أرجع سنلقى بعدها أهولا	لا عشت تبلغ عندنا آملا
يا من تجمع فيه كل نقيصة	فلا ضربن بسيرك الأمثلا
وزعمت أنك للتكليف حامل	وكذا الحمار يحمل أثقالا([٦٥])

من ثم أيقنت السلطات الحاكمة بضرورة القضاء على جذور حركات التشيع بإسنا وأصفون ببناء المدارس السنية، وإرسال كبار الفقهاء والعلماء المالكيين والشافعيين للتدريس بها .فقد ورد فى ترجمة الشيخ الفقيه هبة الله بن عبد الله بهاء الدين القفطي المتوفي عام ٦٩٧ هـ /١٢٩٨م أنه توجه إلي إسنا حاكما عليها ومعيدا بمدرستها العزية، أنه قد فتح إسنا حيث أن التشيع كان فيها فاشيا، فما زال يجتهد في إخماده وإقامة الأدلة على بطلانه، وصنف في ذلك كتابا سماه " النصائح المفترضة في فضائح الرفضة" حتى أن المتشيعين بإسنا هموا

---

[٦٣] ــ الإدفوي : الطالع السعيد، ص ١٦٩ ــ ١٧٠ ترجمة رقم ١٠٠ .

[٦٤] ــ الصفدى : أعيان العصر، ج٢ ص ٤٤٥ـ ٤٤٦ ترجمة رقم ٧١٩ .

[٦٥] ــ الإدفوى : المصدر السابق، ص ٣٦٥ ، ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ ترجمة رقم ٢٩٢ .وكان دواد بن سليمان زعم أنه خرج متحملا للتكاليف عن اتباعه، واور ابن حجر العسقلاني البي الأخير بتعديل وهو

وزعمت أنك للتكاليف حامل وكذا الجمال تحمل الأثقلا . الدرر الكامنة ح ٣ ص ١٣ .

بقتله، فنجاه الله منهم، وما زال على ذلك ودأبه على مقاومته للشيعة إلى أن رجع جمع كبير عما كانوا عليه.([٦٦])

رغم كل الجهود المبذولة من هبة الله بهاء الدين القفطي ــ الذي أخذ العلم عنه جمع كبير طبقة من بعد طبقة من أبناء إسنا وأصفون ـــ في إخماد حركة التشيع، إلا أن الحركة ظلت طاغية على مسرح الأحداث الدينية بالقرية إلي ما بعد ذلك ،فقد ورد في ترجمة الفقيه هبة الله بن على السديد الأسنائي الذي ينعت بمجد الدين والمتوفي عام ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩م أنه بنى مدرسة بإسنا وكان خطيبا بها وبأصفون وتولى الحكم بها وبأدفو أنه كان متسلطا على الرافضة.([٦٧]) ولا غرو في ذلك حيث نجد شيخ الربوة يصرح بالقول بأن " بها طائفة من الإسماعلية والرافضة والإمامية وطائفة من الدرزية والحاكمية " فهو أول مؤرخ يلمح لنا بتعدد طوائف الشيعة بقرية أصفون ([٦٨])

قد ظل التشيع موجودا بقرية أصفون حتى زمن الفقيه كمال الدين الإدفوى المتوفى عام ٧٤٨ هـ/١٣٤٧م وهو أحد شهود العيان حيث كان كما ذكرنا آنفا يمر في رحلته من موطن رأسه أدفو إلى مدينة قوص بمدينة بإسنا وقرية وأصفون وكان يتلقى تعليمه على بعض علماءها والذي ذكر في معرض حديثه عنها قائلا : وأسفون بلدة معروفة بالتشيع الشنيع، لكنه جف بها وقل " ([٦٩])

ورغم ذلك ظلت أصفون تعرف بالتشيع فيذكر ابن دقماق والمتوفي عام ٨٠٠ هـ/ ١٣٩٨م عنها " أنها بلدة معروفة بالتشيع الشنع لكنه خف منها وقل والحمد لله "([٧٠]) وظل بعض رجالها يختلفون مع أهل قريتهم بسبب تشيعهم، مثلما

---

[٦٦] ــ الإدفوى : المصدر السابق، ص ٦٩١ ــ ٦٩٣ ، ترجمة هبة الله بن عبد الله بن بهاء الدين القفطي.

[٦٧] ــ الإدفوى : الطالع السعيد ص ٦٩٩ ترجمة رقم ٥٤٩ .

[٦٨] ــ النخبة : ص ٢٣١ عن طوائف الشيعة انظر شيخ الربوة والمقريزي : المواعظ ج١ الإمام السيد محمد الأمين :أعلام الشيعة ج١. ولعل وجود طائفة كبيرة من فرقة الرافضة الإسماعلية بقرية أصفون هو الذي جعل من أبناء القرية أطفالها وشبابها حتى كتابة هذا البحث عندما يدب نزاع وفرقة فيما بينهم حتى ولو كانوا يتلاعبون أو يمزحون يشتم بعضهم البعض الأخر بعبارة " يا ابن الرفضي " وكأن هذه الفرقة التي ظلت متمسكة بتشيعها فترة كبيرة من الزمن بالقرية كانت من الفرق المنبوذة بالقرية بعد أن عاد المذهب السني للبلاد مع قيام دولة الأيوبيين.

[٦٩] ــ الإدفوي : المصدر السابق، ص ٣٩ . الأمام السيد محمد الأمين : أعلام الشيعة، ج١ ص ١٩٥ .

[٧٠] ــ الانتصار بواسطة عقد الامصار، ج٢ ص ٣٠ .

حدث مع الحسين بن محمد بن هبة الله الأصفوني المعروف بقطنبة شاعر أصفون الماجن، فعندما وصل أمر اختلافه هو والأمير الشمس الأمدي بسبب تشيعهم مع أهل قريتهم حضر إليها الأمير علاء الدين خازندار([٧١]) والى قوص وأخميم قصد مناقشة شكوى أهل أصفون منهم، فلما استدعاهم الأمير وحضروا قفز قطنبة وقال : يا آل أبا بكر، فاغتاظ منه الناظر، لأنه بذلك ينكر تشيعه وسيفلت من العقاب، وزاد على ذلك منشدا الأمير علاء الدين قصيدة أولها:

حديث جرى يا مالك الرق واشتهر بأصفون مأوى كل من ضل أو كفر
لهم منهم داع كتيس معمم وحسبك من تيس تولى على بقر
ومن نحسهم لا أكثر الله فيهم يسبوا أبا بكر ولم يشتهوا عمر
فخذ مالهم لا تخشى من مآلهم فإن مال الكافرين إلي سقر

فقال الناظر : أنت تشارر ما أنت منهم، لذا قام الأمير علاء الدين خازندار بصرفهم ولم يحصل قصد الناظر، فقالوا له : ما قلنا لك نصطلح معك، وما فعلت، فقال الناظر أنا لا أعرف أن هذا المشؤم منكم.([٧٢])

لعل كمال الدين الإدفوي حين ألف كتابه الطالع السعيد بإشارة من شيخه أبو حيان القرطبي ليترجم فيه لأعلام عصره من إقليم قوص وأعماله ومدنه، قد أعرض عن ذكر تراجم الأحياء في عصره لهذا الإقليم([٧٣]) إلا أقلة نادرة جدا، وذلك كان مخافة أن يكشف القناع عن شخصيات تتخذ من المذهب الشيعي مذهبا رسميا لها. فقد جاء في مقدمة الإدفوي لكتابه " أنى لم اترجم للأحياء منهم لغرض أو لأمر عرض" فالرجل كان حريصا أشد الحرص على خصوصيات من يترجم لهم لا سيما أن أمرا كالتشيع كان فاشيا فيما بين أهالي أدفو وإسنا وأصفون، وأن الدولة الأيوبية والمملوكية كانتا يتتبعان كل من هو على المذهب الشيعي.

(يتبـــع)

---

[٧١] ــ الخذندار : في عصر دولة المماليك هو من يتكلم في إقطاع الأمير مع أصحاب الدواوين والفلاحين وغيرهم ، انظر : الأنصاري السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم، ص ٢٦ .

[٧٢] الإدفوى : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ ــ ٢٢٧ . الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق د . على أبوزيد وأخرون، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٨،ج٢ ص ٢٣٠ ترجمة رقم ٥٨٣ .

[٧٣] ــ انظر مقدمة المحقق للكتاب ، ص، ن .